بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وبعد ...

فما من كاتب إلا سيبقى كتابته ، وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ يسرك فى القيامة أن تراه

وهذه رسالة :

حكم ما يدور فى القلوب
الجزء الثانى

واللهَ الكريمَ أسألُ : أن يعلمنى ما جهلت ، وينفعنى بما علمت ، ويجعل علمى زاداً إلى حُسْنِ المصير إليه ، وعتاداً إلى يُمْنِ القدوم عليه ، إنه مولاى بكل جميل كفيل ، وهو حسبى ونِعْمَ الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىِّ العظيم ، القائل –جلَّ وعزّ– : "**وما لكم من دون الله مِن ولىٍّ ولا نصير**"[١] .

قد يحاسب الشرع على ما يدور فى القلوب ، وما يتمناه القلب ويحبه ويهواه يحاسب عليه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ...

حم عن أبى محمد –وكان من أصحاب بن مسعود– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر عنده الشهداء فقال : إن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ، ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته.

م حم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى

[١] تنبيه : الحديث إن كان مروياً فى الكتب التسعة وغيرها اكتفيت بالعزو إلى الكتب التسعة فقط ، وإلا ذكرت مَن خرَّجه – ما استطعت – ، ولا أخالف ذلك إلا لفائدة .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا قَالَ نَعَمْ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا قَالَ نَعَمْ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ قَالَ نَعَمْ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ قَالَ نَعَمْ .

وما يدور فى القلوب على خمسة أقسام :

الأول : **الهاجس** : الشعور بأمر من الأمور فى خير أو شر ، بغير اختيار من الإنسان ، ثم زوال هذا الشعور بغير اختيار . وحكمه : لا حساب فيه .

الثانى : **الخاطر** : استمرار الهاجس مدةً أطول ثم زواله بغير اختيار . وحكمه : لا حساب فيه .

الثالث : **حديث النفس** : أن يحدث نفسه بالخاطر ، بفعله أو تركه ، دون ترجيحٍ لفعله أو تركه ، بغير هم أو عزم . وحكمه : يثاب عليه فى الخير ، ولا يأثم عليه فى الشر .

الرابع : **الهم** : ترجيح الفعل على الترك ، والعزم على الفعل ، بغير تصميمٍ عليه ، ولا تأكيد . وحكمه : يكتب فى الحسنات لا فى السيئات .

الخامس : **العزم** : التصميم الأكيد على فعل الشئ بحيث لو تمكن من فعله لفعله ، كقاتل ذهب ليقتل مسلماً فلم يجده فى البيت ، ووجده قد سافر . وحكمه : يحاسب عليه .

والدليل على ما سبق :

= وقال تعالى : "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون" .

روى طس جابر ، د ن كم حب عقبة : من ستر على مؤمنٍ فكأنما أحيا مؤودة .

روى بزار طك كم حذيفة : قذف المحصنة يهدم عمل مئة سنة .

= خ م حم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً .

خ م د حم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ .

روى خ م ن د حم عَنْ الْأَحْنَف بْنِ قَيْسٍ قَالَ ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ .

وروى ابن سعد فى الطبقات : عن بن عباس في قول الله عز وجل : "يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم" ، نزلت في الاسرى يوم بدر منهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب وكان العباس من أسر يومئذ ومعه عشرون أوقية من ذهب قال أبو صالح مولى أم هاني فسمعت العباس يقول فأخذت مني فكلمت رسول الله أن يجعلها من فداي فأبى علي فأعقبني الله مكانها عشرون عبدا كلهم يضرب بمال مكان عشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وانا أرجو المغفرة من ربي وكلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى عقيل بن أبي طالب فقلت يا رسول الله تركتني أسال الناس ما بقيت فقال لي فأين الذهب ياعباس فقلت أي ذهب قال الذي دفعته الى أم الفضل يوم خرجت فقلت لها أني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فهذا لك وللفضل ولعبد الله وعبيد الله وقثم فقلت له من أخبرك بهذا فوالله ما اطلع عليه أحد من الناس غيري وغيرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أخبرني بذلك فقلت له فأنا أشهد أنك رسول الله حقا وانك لصادق وانا اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وذلك قول الله ان يعلم في قلوبكم خيرا يقول صدقا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم فأعطاني مكان عشرين أوقية عشرين عبدا وأنا انتظر المغفرة من ربي .

والتشبه بغير المسلمين فى القول والفعل والمظهر معصية ، وهذا التشبه لا يحصل إلا بعد أن تكون القلوب متشابهة أيضاً .

روى ابن أبى شيبة عن عبد الله بن مسعود قال : لا يشبه الزي الزي حتى تشبه القلوب .

وحزن القلب لا وزر فيه إن كان رحمةً ورأفة .

= روى (خ م د حم) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام [٢]، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ

[٢] قال عياض هو البراء بن أوس ، وأم سيف زوجته هي أم بردة واسمها خوله بنت المنذر . ثبت ذلك عند ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن أبي صعصعة قال : لما ولد له إبراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد من بني عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد من بني عدي بن النجار أيضا ، فكانت ترضعه ، وكان رسول الله صلى الله عليه

فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْه بَعْدَ ذَلكَ وَإِبْرَاهيمُ يَجُودُ بنَفْسه [٣] ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ تَذْرِفَان فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ [٤]،فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْف إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ [٥] .

وروى (خ م) عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف وَسَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْه فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَة أَهْله فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّه فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَكَان عمر رضِي اللَّه عنه يضرِب فِيهِ بِالْعصا ويرمِي بِالْحِجارةِ ويحثِي بِالتُّرابِ.

وخصلتان لو وجدتا فى قلبك عند موتك واحتضارك فأبشر بما بعد الموت ، وإلا فاغتم بما بعده ...

ت جه عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْت فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ .

وسلم يأتيه في بني النجار . والقين هو الحداد ، ويطلق على كل صانع ، يقال قان الشيء إذا أصلحه . قوله : والظئر المرضع ، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة ، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها ، وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبا .

[٣] قوله "يجود بنفسه" أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله ،

[٤] المعنى : أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم ؟ ،كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع ، فأجابه بقوله " إنها رحمة " أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع . وقد ورد في روايات أخرى تفصيل ذلك ، ففي إحداها عن عبد الرحمن بن عوف نفسه " فقلت يا رسول الله تبكي ، ، أو لم تنه عن البكاء ، فقال : إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان قال . إنما هذا رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم " ، وفي رواية أخرى "إنما أنهى الناس عن النياحة أن يندب الرجل بما ليس فيه " .

[٥] قال الحافظ فى الفتح : جزم الواقدي بأن إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر ، وقال ابن حزم : مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر ، واتفقوا على أنه ولد في ذي الحجة سنة ثمان.

قال ابن بطال وغيره : هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز ، وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله ، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى . وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمه ، ومشروعية الرضاع ، وعيادة الصغير ، والحضور عند المحتضر ، ورحمة العيال ، وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى ، وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك ، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين : أحدهما صغره ، والثاني نزاعه . وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق . وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله ليظهر الفرق ، وحكى ابن التين قول من قال : إن فيه دليلا على تقبيل الميت وشمه ، ورده بأن القصة إنما وقعت قبل الموت وهو كما قال ، أهـ .

والقلوب أوعية ، إما للإيمان ، وإما للكفر ، وسميت بالقلوب لأنها متقلبة ، ما بين الكفر والإيمان ، لذا كانت ولا تزال دعوة الصالحين أن يثبت قلوبهم على الإيمان ...

ت حم عن شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ قَالَتْ كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ ، فَتَلَا مُعَاذٌ بن معاذ -وهو أحد الرواه- "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا" .

ت جه عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من هذا الدعاء ، حتى إنه كان مما يقوله فى صلاته ...

ت عن أبي كُلَيْبٍ الْجَرْمِيُّ : قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى ووضع يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ وَبَسَطَ السَّبَّابَةَ وَهُوَ يَقُولُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ .

والخشوع فى القلب ، وهو مما يؤجر عليه العبد ، والقلب الذى لا يخشع لله تعالى هو قلب خبيث ، ينبغى أن يُستعاذ بالله منه ...

م ت حم عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا .

ولا يدخل الجنة إلا من طهر قلبه ورق وخشع ، فهذه صفة أهل الجنة ...

م ت د حم عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ

نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ قَالَ وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ .

روى أبو نعيم فى الحلية عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا في الدنيا أضيافا ، واتخذوا المساجد بيوتا ، وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكر والبكاء ، ولا تختلفن بكم الأهواء ، تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون مالا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون .

أخى الكريم : لطيب قلب المؤمن فقد سماه الله تعالى كرما

= روى التسعة إلا (ن ت جه) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ [٦]

والقلب يتأثر بأعمال الجوارح ويؤثر فيها : أما تأثره بأعمال الجوارح :

---

[٦] قال الخطابي ما ملخصه : إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها ،

ولماذا نهينا عن تسمية الخمر كرماً وسميناه لقلب المؤمن ؟ فيها أقوال :

الأول : لأن في تبقية هذا الاسم لها تقريرا لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها فنهى عن تسميتها كرما وقال : " إنما الكرم قلب المؤمن " لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام ، قاله الخطابى .

الثانى : لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء وتأمر بمكارم الأخلاق ، فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم ، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم ، قاله ابن الأنبارى .

الثالث : أنه لما حرمت عليهم الخمر وكانت طباعهم تحثهم على الكرم كره صلى الله عليه وسلم أن يسمى هذا المحرم باسم تهيج طباعهم إليه عند ذكره فيكون ذلك كالمحرك لهم ، قاله المازرى ،

الرابع : وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه : لما كان اشتقاق الكرم من الكرم ، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان ، وخير ما فيه قلبه ، لأنه إذا صلح صلح الجسد كله ، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان . وفي تشبيه الكرم بقلب المؤمن معنى لطيف ، لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم ، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة ، كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس . ويقوي التشبه أيضا أن الخمر يعود خلا من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهرا ، كذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسا باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل ، أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل . فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة .

وهل النهى للتحريم أم للكراهة ؟ قال النووي : النهي في هذا الحديث عن تسمية العنب كرما وعن تسمية شجرها أيضا للكراهة .

فبالشر :

روى النسائى فى سننه ، باب : من يلي الإمام ثم الذي يليه :

عن أبي مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول لا تختلفوا فتختلف **قلوبكم** ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا .

وروى أبو داود فى سننه عن النعمان بن بشير يقول أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس بوجهه فقال : أقيموا صفوفكم ، أقيموا صفوفكم ، أقيموا صفوفكم ، والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين **قلوبكم** . قال النعمان : فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه .

وروى الترمذى ، باب : ما جاء ليليني منكم أولو الأحلام والنهى :

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف **قلوبكم** وإياكم وهيشات الأسواق [٧].

وبالخير :

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : باب تجديد الإيمان

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في **قلوبكم** .

رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول لا إله إلا الله [٨].

وروى الدارمى فى السنن عن ابن مسعود قال : كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سُرَّجَ الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب ، تعرفون في أهل السماء ، وتخفون على أهل الأرض .

روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في **قلوبكم** .

---

[٧] قال الترمذى : وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي مسعود وأبي سعيد والبراء وأنس قال أبو عيسى حديث بن مسعود حديث حسن صحيح غريب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعجبه أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه .

[٨] قال الهيثمى : رواه أحمد وإسناده جيد وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان .

والقلب هو محل قوة البدن ، فإن ضعف القلب أو مَرِضَ إيمانياً فالخسار والويل والذلة على صاحبه ، وتَمَكّنَ منه عدوُّه أيما تَمَكُّن .

روى أبو داود فى سننه ، باب : في تداعي الأمم على الإسلام

عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في **قلوبكم** الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت .

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه : عن أبي يعلى قال كان الربيع بن خيثم إذا مر بالمجلس يقول قولوا خيرا افعلوا خيرا ودوموا على صالحه ولا تقس **قلوبكم** ولا يتطاول عليكم الأمد ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه : عن بكر قال قال ابن الكواء لربيع بن خثيم ما نراك تذم أحدا ولا تعيبه ؟ قال : ويلك يا ابن الكواء ، ما أنا عن نفسي براض ، فأتفرغ من ذمي إلى ذم الناس ؟ إن الناس خافوا الله على ذنوب العباد وأمنوا على ذنوبهم

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه : عن بكر قال كان الربيع يقول إذا أصبح اعملوا خيرا وقولوا خيرا ودوموا على صالح وإذا أسأتم فتوبوا وإذا أحسنتم فزيدوا ما علمتم فأقيموا وما شككتم فكلوه إلى الله المؤمن فلا تؤذوه والجاهل فلا تجاهلوه ولا يطل عليكم الأمد فتقسوا **قلوبكم** ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه : عن أنس بن مالك قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن مائة من الإبل فقال ناس من الأنصار يعطي رسول الله غنائمنا ناسا تقطر سيوفنا من دمائهم أو سيوفهم من دمائنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم فجاؤا فقال لهم هل فيكم غيركم قالوا لا إلا ابن اختنا قال ابن اخت القوم منهم فقال قلتم كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون بمحمد إلى دياركم قالوا بلى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس دثار والأنصار شعار الأنصار كرشي وعيبتي ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .

روى أحمد فى المسند عن أبي سعيد الخدري قال لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا الا امرؤ من قومي وما أنا قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وعداء فألف الله بين **قلوبكم** قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل قال ألا تجيبونني يا معشر الأنصار قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقنا ،

أخى الكريم :

إن من الأفعال ما يظهر أثره على القلوب ، مما قد تحقره ولا تأبه له ، إلا أنه قد يكون مميتاً قاتلاً لضياء قلبك ...

روى الذهبى فى سير أعلام النبلاء فى ترجمة العبد الصالح سعيد بن المسيب :

عن أبي عيسى الخراساني عن ابن المسيب قال : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم [٩] ،

[٩] **ولتعطير المجلس ببعضٍ من سيرة هذا الشيخ المبارك :**

وفى ترجمة العبد الصالح سفيان الثورى :

روى أبو نعيم فى حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال : النظر الى وجه الظالم خطيئة ولا تنظروا الى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم لئلا تحبط أعمالكم

روى أبو نعيم فى حلية الأولياء عن سفيان الثورى قال : ولا تنظروا الى دورهم ولا إليهم إذا مروا على المراكب .

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه ،

ونستغفرُ اللهَ تعالى مِنْ كُلِّ ما زَلَّتْ به القَدَمُ ، أو طَغَى به القَلَمُ ، ونستغفرهُ مِنْ أقوالنا التى لا تُوَافقُها أعمالُنا ، ونستغفره مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وعَمَلٍ قَصَدْنَا به وَجْهَهُ الكريمَ ثُمَّ خَالَطَهُ غَيْرُهُ ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْنَا بِهِ مِنْ أَنْفُسِنَا ثُمَّ قَصَّرْنَا فى الوَفَاءِ بِهِ ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فاستَعْمَلْناها فى مَعْصِيَته ، ونستغفره مِن كُلِّ تصريحٍ وتعريضٍ – بِنقْصانِ ناقِصٍ ، وتقْصيرِ مقصِّرٍ –كُنَّا متَّصِفين به ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ خَطْرَةٍ دعتْنا إلى تَصَنُّعٍ وتَكَلُّفٍ تَزَيُّنًا للناسِ به .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وباركَ على محمدٍ النبى ، وأزواجِهِ أمَّهاتِ المؤمنين ، وذريته وآل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

قال أبو المليح الرقي حدثني غير واحد أن عبد الملك ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطا وأقامه بالحرة وألبسه تبان شعر فقال سعيد : لو علمت أنهم لا يزيدوني على الضرب ما لبسته ، إنما تخوفت من أن يقتلوني ، فقلت تبان أستر من غيره ،

وعن سفيان الثورى عن رجل من آل عمر قال : قلت لسعيد بن المسيب ادع على بني أمية ، قال : اللهم أعز دينك ، وأظهر أولياءك ، واخز أعداءك ، في عافية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

عن أبي يونس القوي قال دخلت مسجد المدينة فإذا سعيد بن المسيب جالس وحده فقلت ما شأنه قيل نهي أن يجالسه أحد

عن قتادة أن ابن المسيب كان إذا أراد أحدا أن يجالسه قال إنهم قد جلدوني ومنعوا الناس أن يجالسوني

وسبب الجلد :ما رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء عن عمران بن عبد الله قال دعي سعيد بن المسيب للبيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان قال فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار قال فقيل أدخل من الباب وأخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدى بي أحد من الناس قال فجلده مائة وألبسه المسوح .

وروى عن رجاء بن جميل الأيلي قال : قال عبد الرحمن بن عبد القارىء لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان بالمدينة بعد موت أبيهما إني مشير عليك بخصال ثلاث قال وما هي قال تعتز مقامك فإنك هو وحيث يراك هشام بن اسماعيل قال ما كنت لأغير مقاما قمته منذ أربعين سنة قال تخرج معتمرا قال ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية قال فما الثالثة قال تبايع قال أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما علي قال وكان أعمى قال رجاء فدعاه هشام إلى البيعة فأبى فكتب فيه إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك مالك ولسعيد ما كان علينا منه شيء نكرهه فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطا وألبسه تبان شعر وأوقفه للناس لئلا يقتدى به الناس ، فدعاه هشام فأبى وقال : لا أبايع لاثنين ، قال : فضربه ثلاثين سوطا ، وألبسه تبان شعر ، وأوقفه للناس . قال رجاء حدثني الأيليون الذين كانوا في الشرط بالمدينة قالوا : علمنا إنه لا يلبس التبان طائعا ، قلنا له : يا أبا محمد إنه القتل فاستر عورتك . قال : فلبسه ، فلما ضرب قلنا له إنا خدعناك قال : يا معجلة أهل أيلة ، لولا إني ظننت أنه القتل ما لبسته .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك

وكتبه / أبو تراب الحسن الأصيل

الموقت بمدينة نصر العامرة